

البعد الاجتماعي لظاهرة الإدمان على المخدرات في الجزائر

ببروح شاور

علم الاجتماع معهد العلوم الاقتصادية

جامعة تيزي وزو

1 **البعد الاجتماعي لظاهرة الإدمان على المخدرات في الجزائر**

إن ظاهرة تعاطي المخدرات والإدمان عليها هي مشكلة العصر. ولانبالغ إذا قلنا أن كل المجتمعات تعاني منها بدرجات متفاوتة. وقد أصبح إستفحالها وسرعة إنتشارها في المجتمعات يشير إهتمام الباحثين والمختصين. فإهتم بها عالم النفس وعالم الاجتماع والطبيب والسياسي ورجل الدين وغيرهم. وكلهم يجمعهم هدف واحد وهو محاولة تفسير الأبعاد المختلفة والمتشعبة لهذه الظاهرة.

هؤلاء الباحثون والمختصون وإن اختلفوا في مناهجهم ومنظورهم لاشك أنهم يتفقون على أن هذه الظاهرة لا تتوافق مع القيم السائدة في المجتمع لأنها تؤثر سلبا على الأفراد أي أنها تهدم "الخلايا" والأنسجة" التي تكون هذا المجتمع.

فإذا كان الطبيب يرى ظاهرة الإدمان على أنها مرض يستوجب العلاج الطبي وإذا كان النفسي أو الطبيب النفسي يرى الظاهرة على أنها نتيجة لإضطراب في شخصية الفرد. فكيف يرى عالم الاجتماع هذه الظاهرة ؟

سنحاول في هذا الموضوع إظهار الأبعاد الاجتماعية لظاهرة الإدمان على المخدرات وكيف يعالج

عالم الإجتماع هذه الظاهرة محاولين في الأخير إقتراح بعض الحلول لمعالجتها.

تعريف الظاهرة :

إذا كان بعض الأخصائيين يهتمون بالإدمان على المخدرات على أنه مرض يتطلب العلاج الطبي والنفساني، فإن عالم الإجتماع يهتم بمختلف الجوانب والظروف الإجتماعية التي لها علاقة (مباشرة أو غير مباشرة) بظاهرة الإدمان. فالمدمن على المخدرات هو قبل كل شيء، عضو في المجتمع يؤثر ويتأثر بمختلف التنظيمات والإنساق التي تكون المجتمع الذي يعيش فيه.

من هذا المنطلق نستطيع أن نقول أن ظاهرة الإدمان على المخدرات هي سلوك نفسي وظاهرة إجتماعية تدل على عدم توافق الفرد مع النظام الإجتماعي السائد (كما سنرى لاحقا) وهي ظاهرة إنحراف أي أنها خروج عن القواعد والضوابط الإجتماعية المتفق عليها. هي إذن مشكلة إجتماعية تتطلب دراسة أسبابها وإيجاد الحلول لها شأنها في ذلك شأن المشاكل الإجتماعية الأخرى كالبطالة والفقر، والتشرد. ولعل ما يميز ظاهرة الإدمان على المخدرات في الجزائر هو أنها سلوك يتنافى وروح الشريعة الإسلامية مثلها مثل الظواهر التي نهى عنها الإسلام كالرشوة والفسخ. كما أن القانون الجنائي الجزائري يعتبر الظاهرة جريمة حيث نص على أن حيازة أو تعاطي أو المتاجرة أو زراعة المخدرات جريمة يعاقب عليها القانون.

إن مشكلة الإدمان على المخدرات ليست "جريمة بدون ضحايا" كما سماها أحد علماء الإجتماع (1) لان هذه المشكلة تضم بالإضافة إلى مستهلك المخدرات (المدمن) المنتج والصانع والمهرب والموزع بالجملة والبائع بالتجزئة. فهؤلاء، يكونون منظمات كبيرة تضم أفرادا ذوي مصالح مشتركة، والمدمن على المخدرات إذا لم يستطع إشباع إدمانه بالإمكانات المتاحة له فإنه يلجأ إلى الحصول على المخدرات بالقوة أو بالسرقة حتى يتمكن من شرائها.

والعنف والتعدي على حقوق الغير هو مساس بحرية الآخرين وبالتالي بقيم المجتمع. نستخلص هنا بأن ظاهرة الإدمان على المخدرات هي سلوك انحرافي لا يتطابق مع المعايير الإجتماعية لسلوك الجماعة وهو يمثل خطرا على المدمن وعلى الآخرين باعتبار أن المدمن عضو في المجتمع أي أنه ينتمي إلى أسرة وإلى منظمات إجتماعية أخرى كلها تتأثر بسلوك المدمن.

مظاهر وجود وانتشار ظاهرة الإدمان على المخدرات في الجزائر :

إن ما يميز ظاهرة الإدمان على المخدرات عن الظواهر الإجتماعية الأخرى هو أنها تنتشر بسرعة إذا وجدت الظروف الملائمة مع أنها تتم في الخفاء. ولعل هذا ما يفسر نقص البحوث الميدانية عن الظاهرة. فالمدمنون على المخدرات لا يعرفون إلا عندما يدخلون المستشفيات أو العيادات قصد العلاج أو عندما يقبض عليهم بعد ارتكابهم جرائم. فتعاطي المخدرات يمكن أن يتم في أي مكان دون ترك أثر بارز على المدمن كما أن المخدر يمكن إخفاؤه بسهولة وبالإضافة الى هذا فإن المخدرات وخاصة النباتية منها غير معروفة كثيرا عند عامة الناس وخاصة الأجيال القديمة.

ومع هذا فإن المخدرات كانت موجودة منذ بداية القرن العشرين في الجزائر وخاصة في أوساط

الصيادين والفنانين وعمال الموانئ. وخلال الحرب العالمية الثانية جلب الجنود الأمريكيون المتمركزون في الجزائر مخدر الكوكايين. وحتى سنوات السبعينيات كان استعمال المخدرات محدودا، لكن منذ بداية الثمانينيات بدأت المخدرات في الإنتشار بسرعة وخاصة بعد فتح الحدود البرية مع المملكة المغربية سنة 1986.

ظاهرة تعاطي وانتشار المخدرات كتبت عنها الصحف وتناولتها مختلف وسائل الإعلام للتنبيه بخطرهما. والمعلومات التي توفرها الجهات المختصة كالدرك والجمارك تبين أن التهريب يتزايد عاما بعد عام وخاصة منذ 1980. وتبين بعض الوثائق أن نسبة كبيرة من مستهلكي المخدرات هم من الشباب والاميين. كما تنتشر المخدرات عند البطالين والتجار الصغار. (2)

المشكل المطروح بالنسبة لهذا الموضوع هو أنه من الصعب معرفة عدد المتعاطين والمدمنين على المخدرات في الجزائر بدقة نظرا للصعوبات التي سبق ذكرها. ولكن ارتفاع الكميات المحجوزة من قبل رجال الدرك والجمارك وكذا التزايد المستمر في عدد الموقوفين (3) دليل على أن تجارة وتعاطي المخدرات في الجزائر أصبحت تمس فئة كبيرة من الشباب ومايزيد من خطورة الظاهرة هو أن الشباب يلجأ عندما لا يتمكن من الحصول على المخدرات إلى تناول مواد أخرى كالبنزين والعمطور وغيرها. (4)

كمية المخدرات المحجوزة وعدد الموقوفين في الجزائر

السنة	الكمية المحجوزة (بالكغ)	عدد الموقوفين	
		جزائريين	أجانب
1985	923	989	60
1986	526	1250	51
1987	608	1693	34
1988	549	1677	62
1989	2235	2090	217

المصدر : Revolution Africaine N0 1400 du 27 Decembre au 2 Janvier 1990

أسباب الظاهرة :

نظرا لعدم توفر الدراسات الميدانية للظاهرة فإنه يصعب حصر الأسباب الحقيقية لتفشي الظاهرة. ولكن من خلال المعلومات التي نستقيها من الصحف ووسائل الإعلام الأخرى وكذا من خلال الدراسات التي قام بها الباحثون في مجتمعات أخرى يمكن أن نقسم الأسباب إلى مايلي :

أولا : الأسباب الماكروسوسولوجية :

وتتمثل في الأزمات العامة التي يعيشها المجتمع في فترة تاريخية ما وفي مختلف الميادين السياسية منها والإقتصادية والثقافية. وفي المجتمعات النامية كالجزائر تتمثل الأزمة في عدم التوازن في مشاريع التنمية وفشل سياسة التنمية المتبعة عموما أو غياب سياسة واضحة للتنمية. كل هذه الحالات تؤدي إلى حدوث تناقضات ومشاكل تؤثر في الحياة اليومية للفرد. ففي الجزائر مثلا يمكن ملاحظة بعض التناقضات بكل وضوح. فمن ناحية بنيت آلاف العمارات والمساكن الحديثة. ومن ناحية أخرى توجد أزمة سكن خانقة لدرجة أن المواطن أحيانا يفقد الأمل في الحصول على السكن فبعيش حياة يومية تعسة يائسة.

كما يمكن أن نلاحظ تناقضا آخر : فمن ناحية تعتبر الجزائر بلدا ناميا تحتاج إلى كل الطاقات البشرية الممكنة لإنجاح عملية التنمية، خاصة وأن البلاد تتوفر على إمكانيات مادية كبيرة، ومن جهة أخرى نلاحظ الآلاف من الإطارات بطالة ومهمشة. فالشباب يحسون بتأثير هذه التناقضات عليهم حتى وأن لم يدركوها.

عندما يفقد الإنسان الأمل في الوصول إلى هدفه بالسلوك الإجتماعي المتوافق عليه والذي يقره المجتمع فإنه يقوم بممارسات (تعاطي المخدرات) تتعارض مع القيم السائدة في المجتمع. هذه الحالة هي التي سماها دور كايم باللامعيارية ANOMIE (5).

هذه المشاكل كالبطالة ونقص السكن والفقر تؤثر على شخصيات الأفراد الذين يعانون منها. واليأس من إيجاد الحلول يدفعهم إلى عمل أي شيء جديد، فيلجأ بعضهم إلى الشارع ليدخل في تنظيمات إجتماعية أخرى وهو مهيباً لأن يجرب أي شيء قد ينسيه همومه وقد يكون هذا الشيء هو المخدرات.

ثانيا : الأسباب الميكروسوسولوجية :

وهي المشاكل التي يعيشها الفرد على مستوى التنظيمات الإجتماعية الصغيرة التي يتفاعل معها كالأسرة والمدرسة ومكان العمل. فقد يعيش الفرد حياة صعبة في أسرته نتيجة مشاكل عائلية متراكمة، وقد لا ينجح الطالب في امتحان البكالوريا مثلا أو قد يخرج من المدرسة قبل هذا المستوى، وقد يفقد الإنسان عمله. كل هذه العوامل قد تدفع الشخص إلى الخروج إلى الشارع والإحتكاك بالمدمنين. وهذه الوضعية تجعله معرضا لتعاطي المخدرات. فإن لم يطلبها هو من أصدقائه فإنهم يقترحونها أو يفرضونها عليه. وكما يقول عالم الإجتماع ناصر ثابت فان " للبيئة ونسق الأسرة

والإختلاط بالمتعاطين للمخدرات والتقليد في الممارسات والإحباط في الحياة العملية أكبر الأثر في الإنغماس في تعاطي المخدرات". (6)

ثالثا : أسباب ترجع إلى اختيار الفرد :

وهو أن يبحث الفرد مهما كانت الشريحة أو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها عن المتعة وقضاء وقت الفراغ. يكثر هذا النوع من المتعاطين للمخدرات عادة في الأوساط، الفنية وعند الشباب الأثرياء والطلاب.

رابعا : الإدمان بعد التعود على تناول الأدوية المخدرة للعلاج :

وفي هذه الحالة قد يصبح المريض نفسيا وجسميا متعلقا بتناول الأدوية حتى بعد انقضاء العلاج. ومهما يكن فإن أسباب التعاطي والإدمان على المخدرات قد تختلف من فرد إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ولكن هذه الأسباب كلها تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي أنها تدفع الفرد إلى الإحتكاك والإختلاط بمدمني المخدرات وهذا ما يكون سببا مباشرا في تعاطيه للمخدرات فيصبح تناولها عبارة عن هجرة ذاتية داخل النفس تبعد الفرد عن الواقع والمسؤوليات:

خطورة الظاهرة :

الدراسات الطبية تؤكد على أن تعاطي المخدرات خطر على صحة الإنسان. والمدمن عندما يكون تحت تأثير المخدرات أثناء العمل أو خلال قيادة السيارة قد يضطرب ويرتكب أخطاء تتسبب في حوادث المرور والعمل مما يؤدي إلى وفاة الكثير من الناس. كما يؤثر في التحصيل المدرسي للتلاميذ والطلاب. وتقتل مواهب الفرد فيصاب بالحمول والكسل. كيف نتوقع إذن من هذا الفرد أن يكون أسرة ويربي الأولاد ؟ وكيف يؤدي عمله ؟

وبالإضافة إلى هذا فإن المتاجرة بالمخدرات يؤثر سلبا على الإقتصاد الوطني إذ أن كمية كبيرة من النقود تتداول في السوق السوداء دون أن تعرف طريقها إلى الإستثمار المنتج. (7)

الحلول المقترحة :

هذه بعض الحلول المقترحة لمعالجة مشكلة التعاطي والإدمان على المخدرات :

(1) إجراء بحث ميداني شامل على مستوى الوطن لدراسة مدى انتشار الظاهرة وجوانبها وإبعادها المختلفة.

(2) علاج المدمنين في مراكز خاصة من الناحية الطبية والنفسية والروحية قصد تغيير سلوكهم المنحرف والتخلي عن تعاطي المخدرات.

(3) يجب مراقبة توزيع الأدوية على المرضى لمكافحة تزوير الوصفات الطبية والمتاجرة بالأدوية.

(4) مكافحة التهريب والمتاجرة بالمخدرات بتجنيد الإمكانيات الضرورية لذلك.

(5) توعية الشباب والأطفال بطريقة مستمرة بأخطار المخدرات عن طريق وسائل الإعلام وخاص التلفزيون.

الهوامش :

* محاضرة أُلقيت في الملتقى الأول لتكوين المكونين للرقابة من المخدرات، تنظيم الهيئة الوطنية للبحث الطبي، الجزائر، 14-18 نوفمبر 1992.

1)- Schur, Edwin M. Crimes Without Victims : Deviant Behavior and Public Policy, Ehglewood cliffs, N. J prentice. Hall, Inc ; 1965.

2)- Le Bulletin du Centre National d'Information de la Jeunesse, Spécial Toxicomanie ; Alger ; 1991.

(3) أنظر الجدول ص : 4

(4) أنظر مجلة الوحدة، العدد 537 من 10 إلى 16 أكتوبر 1991

ص ص : 30-31.

5) - Clinard, M. Anomie and Deviant Behavior, discussion and critique, New York, the free press, 1964.

(6) - ناصر ثابت، المخدرات ومظاهر استنشاق الغازات : دراسة إجتماعية، ميدانية، استطلاعية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1984، ص 21.

(7) - أنظر :

Violences Colombiennes dans les Rues et dans les Têtes, le Monde

Diplomatique, Janvier, 1993

l'Economie de la Drogue, le monde, Dossier et Document, N 174, Février 1990